أصابع الإرهاب

محمود سالم

أصابع الإرهاب

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

أصابع الإرهاب

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٨٣٦ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
إرهاب دولي!	١١
منظمة «الأصابع الدموية»	١٥
أبو الحسن!	٢١
رسالة بالشفرة!	٢٧
صراع تحت الماء!	٣١
قليل من الحظ!	٣٧
معركة فوق الجبل!	٤١
المعركة الأخيرة	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

إرهاب دولي!

كان الاجتماع عاديًّا في قاعة الاجتماعات بكهف الشياطين السري. ساد السكون لحظات قليلة؛ فالاستدعاء غيرُ عاجل ... ورغم هذا فقد أحسَّ الشياطين الـ «١٣» بأن هناك مهمةً قادمةً في الطريق ... وجاء صوتُ رقم «صفر» من مكانه المعتاد شِبه المظلم، وهو يقول: مرحبًا بكم!

وبعد لحظات انطفأَت أنوارُ القاعة، وإلى اليسار ظهرَت خريطةُ العالم مكبَّرة، وقد راحَت أضواءٌ حمراء تلمع فوق بعضِ أشهَرِ العواصم العالمية ... مثل «لندن» ... «باريس» ... «بون» ... «واشنطن» ... «طوكيو» ... وأيضًا «القاهرة».

وكان من المؤكَّد أن هناك رابطًا يجمع تلك العواصم معًا ... وأن اللون الأحمر للمبات المضيئة لا بد وأن تكون له دلالة ما.

وقطع صوتُ رقم «صفر» حبلَ أفكار الشياطين قائلًا: إننا نعيش في عالم مضطرب قلق، مليء بالتوتر وأعمال العنف التي سادَت في الأعوام الأخيرة بشكلٍ يدعو إلى القلق الشديد ... وصار هذا العنف هو لغةَ التعامل اليومية في كثير من بلدان العالم ... ولم يَعُد هذا العنف عنفًا فرديًّا، بل تخطَّى هذه المرحلة إلى ما يسمَّى بالعنف الجماعي أو الإرهاب!

وساد هدوءٌ شديد بعد كلمات رقم «صفر» ... وقد بدأ يتضح للشياطين أن تلك اللمبات الحمراء فوق خريطة العالم ليست إلا محطاتٍ ومراكزَ لذلك العنف العالمي، وأكمل رقم «صفر» قائلًا: بنظرة واحدة إلى الجرائد اليومية، فسنجد أن أحداث العنف والإرهاب صارت زادًا يوميًّا ومادةً دائمة لهذه الصحف ... وأن المنظمات الإرهابية قد بدأَت تُوسع نشاطَها وأعمالها في كلِّ أنحاء العالم، غير عابئة بعدد الضحايا الأبرياء الذين يسقطون أمام رصاصهم وقنابلهم دون تمييز ... وذلك في الوقت الذي تتَّجه فيه القوى العظمى لإنهاء حالة التوتر والحرب الباردة بينهما في شكل اتفاقيات وتدمير سلاحها، إلا أن العنفَ

لا زال يتزايد وبصورة عنيفة، وإذا استعرضنا سِجِلَّ العنف وأشهرَ المنظمات الإرهابية في العالم فسنجد السجلَّ حافلًا جدًّا.

صفر: في إسنادها إلينا؟

وأكمل «عثمان» يقول: لا شك أن مهمَّتَنا القادمة ستكون مواجهةَ إحدى هذه المنظمات الإرهابية.

وتبادل الشياطين النظراتِ، ها هي مهمَّتُهم تقترب شيئًا فشيئًا، وتتضح تفاصيلها.

وقال رقم «صفر»: لقد صارَت منطقتنا العربية ومنطقة الشرق الأوسط حافلةً بأعمال العنف والإرهاب، والذي لا شك فيه أن بداية هذا العنف كان بظهور دولة «إسرائيل» على خريطة المنطقة، وهي الدولة التي نشأَت بالعنف والإرهاب، واحتلَّت أرضَ الآخرين، وترفض أن يكون لها حدودٌ معترَفٌ بها؛ طمعًا في التوسُّع في أيِّ اتجاه، وبأية وسيلة، وفي المقابل، فإن هذا الأسلوب الإرهابي الذي قامَت به «إسرائيل» بأعمال عنف عديدة وإرهابية؛ مثل نَسْف فندق «الملك داود» في القدس، ومذابح «دير ياسين»، و«صابرا وشاتيلا» ... هذا العنف الإرهابي كان لا بد وأن يُقابَلَ من الفلسطينيِّين أصحابِ القضية بردٍّ مماثل للدفاع عن أنفسهم ... إلا أننا لا نستطيع أن نُوصمَ الفلسطينيِّين بالإرهاب، أو ارتكاب مثل تلك المجازر ... ولكن ... كان هذا الصراع الإسرائيلي العربي هو بدايةَ توالد العنف وأعمال الإرهاب في الشرق الأوسط ... وتوالَى ظهورُ منظمات فدائية عديدة، منها ما كان منشأة ومقرُّه الشرق الأوسط، ومنها ما كان وافدًا من مناطق أخرى في العالم ... وهكذا تحوَّلَت منطقة الشرق الأوسط إلى خلايا سرطانية تضمُّ العديدَ من هذه المنظمات الفدائية التي تقوم بأعمالها في لحظة خاطفة، ثم تختفي بسرعة دون أن تتركَ أيَّ أثر ... وهذه المنظمات في العادة تكون على مستوًى عالٍ من التدريب والكفاءة؛ لذلك فهي نادرًا ما تفشل في إحدى عملياتها سواء بالقتل أو التفجير ... ونادرًا ما يتم القبض على أعضائها بسبب مهارتهم الشديدة في الهرب ... ومغادرتهم للبلاد بعد ذلك متنكرين ...

إلهام: يبدو أن هناك مَن يُنافسنا في براعةِ أعمالنا بدقةٍ هائلة!

رقم «صفر»: ولكن مع الفارق؛ فإننا نحارب الإرهاب ... وهم يقومون به ... ومن المؤسف أن هناك دولًا عديدة في المنطقة تحتضن الإرهاب وتُموِّله وتُقيم للإرهابيِّين معسكراتٍ للتدريب، وتمدُّهم بالأسلحة والمال اللازم لعملياتهم ... بل وأيضًا تقوم بتزويدهم بجوازات سفر سليمة، حتى لا يتمَّ القبض عليهم عند دخولهم أو خروجهم من البلاد ... والأسوأ من ذلك أن بعض هذه البلاد تقوم بتهريب الأسلحة للإرهابيِّين عبرَ الحقائب

الدبلوماسية التي لا تخضع للتفتيش. ولعل حادثَ اغتيال الرئيس اللبناني السابق «رينيه معوض» بسيارة ملغومة انفجرَت بالقرب من موكبه، هذا الحادث يدل على عنف وقوة هذه المجموعات الإرهابية المدعمة من الخارج ... وهي نفس المنظمات التي حاولَت إحداها تفجيرَ موكب أمير الكويت منذ عدة أعوام، ونجا من هذا الحادث ...!

أحمد: هذا مؤسف جدًّا ... أن تتبنَّى بعضُ الدول الإرهاب لتحقيق أهدافها.

وساد صمتٌ قصير بعد كلمات «أحمد»، وغَرِقَت خريطة العالم في الظلام قبل أن يحيط سياجٌ من الضوء الأحمر الدولي حول موقع «مصر» على الخريطة ... ودقَّ قلب «أحمد» بعنف رغمًا عنه ... كان المعنى واضحًا ... وتبادل مع «إلهام» نظرةَ تعجُّب؛ فقد كان يتوقع ذلك على أي حال.

وقال رقم «صفر» قاطعًا حبلَ أفكار الشياطين: ليست هناك حاجةٌ لأن أُخبرَكم بأن «مصر» هي أهم دولة في منطقة الشرق الأوسط ... فهي بثقلها التاريخي، وبحكم جيشها القوي، وكثافتها السكانية، وقيادتها العاقلة ... وبحكم أنها الأم والشقيقة الكبرى لكل الدول العربية، وهي التي ترسُم سياساتِ المنطقة حولها ... لكل ذلك فإن «مصر» تصبح هي الدولة الأولى في المنطقة ... ولأن «مصر» لم تلجأ إلى الإرهاب يومًا ما، ولم تعتمد عليه في تنفيذ أهدافها ... لذلك فقد صارَت هدفًا لكثير من المنظمات الإرهابية ... داخليًّا وخارجيًّا ... فالذي لا شك فيه أن هناك مَن يكره استقرار «مصر» ... يكره كونها الزعيمة في المنطقة، ونقطة الارتكاز لاستقرارها. هناك مَن يكره سياستها المعتدلة، وهناك مَن يريد أن يُثيرَ فيها القلاقل والاضطرابات وتعكير الأمن ... ولأن «مصر» محاطةٌ من بعض الجهات بالأعداء الذين لا يكشفون عن وجوههم صراحة؛ لذلك فإنه من الطبيعي أن تحاول هذه القوى هدْمَ استقرار «مصر» بالإرهاب.

تساءل «خالد» في توترٍ: هل هناك معلومات مؤكَّدة بذلك؟

لم يردَّ رقم «صفر» على الفور، سادَت لحظةُ صمتٍ ثقيلة، وهو يقلِّب بعضَ الأوراق أمامه، كأنه يستعيد معلوماتِه، ثم قال: لقد كانت السلطات في «مصر» على علمٍ بكلِّ ما يُحيطها من أخطار وتهديدات من كل مكان؛ ولذلك فقد وضعَت نفسها في حالةِ يقظةٍ مستمرة لمراقبةِ كلِّ منافذ البلاد. وكانت النتيجة هي سقوطَ أكثرِ من عشر مجموعات إرهابية جاءَت لتنفيذ أعمال عنف وإرهاب في «مصر» ضد الأبرياء، والأماكن الحيوية والتجمعات البشرية كالقطارات والأتوبيسات، بهدف خَلْق حالة من عدم الاطمئنان والاستقرار في «مصر» ... حتى تسودَها الاضطرابات، وتفقدَ ثقلها المؤثر كدولة مستقرة في المنطقة، وأيضًا لتدمير السياحة في البلاد مما يجعلها تُعاني من متاعب اقتصادية.

هتف «عثمان» في حنَق: يا لَهم من مجرمين ... كيف يمكن لإنسان مهما كان أن يشارك في قتل الأبرياء بلا ذنب وترويع الآمنين؟

رقم «صفر»: لحسن الحظ، فإن قوى الأمن في «مصر» مستيقظة تمامًا، ولم تسمح بإفلات أي إرهابي من قبضتها، وأثبتَت التحقيقات علاقةَ بعض دول المنطقة بهؤلاء الإرهابيِّين وتزويدهم بالسلاح والمال.

تساءلَت «ريما» في قلق: وهل نجحَت إحدى هذه المجموعات الإرهابية في التسلُّل داخل «مصر»؟ وهل سيتم الاستعانة بالشياطين للقبض على هذه المجموعة الإرهابية؟

رقم «صفر»: لا، هذا لم يحدث حتى الآن ... ولكن سيحدث قريبًا!

علَت الدهشةُ وجوهَ الشياطين بعد سماع كلمات رقم «صفر» الغامضة ... وتساءل «أحمد»: إذن فأنتم تعرفون أن هناك مجموعةً إرهابية قادمة لدخول «مصر» ... ولا شك أنكم تعرفون أفرادها ولديكم صِوَرهم. إذن لماذا لا تنتظرها قوى الأمن للقبض على أفرادها عند وصولهم إلى «مصر»؟!

رقم «صفر»: لا ... ليس هذا هو هدفَنا ... إننا سنترك هذه المجموعة الإرهابية تدخل البلاد، دون أن نُلقيَ القبض على أفرادها، بل وسنسمح لهم بتهريب أسلحتهم أيضًا إلى داخل البلاد.

منظمة «الأصابع الدموية»

تبادل الشياطين نظرةً مندهشة ... وتحدَّث رقم «صفر» في هدوءٍ قائلًا: إننا هذه المرة نخطط لهدف مختلف تمامًا ... فإن تكرار قيام السلطات المصرية بالقبض على المجموعات الإرهابية ونجاحها الساحق في ذلك قد يدفع بإحدى هذه المجموعات إلى عمل انتحاري لإثبات الوجود ... وأيضًا فإن الخطة لها هدفٌ آخر ... إن المعلومات التي وصلَتنا عن هذه المجموعة الإرهابية الجديدة تُفيد بأنها ستعمل على نسْفِ مقرِّ إحدى السفارات الغربية في «مصر»، وأيضًا زرْع المتفجرات في الأماكن العامة ... ليس هذا فقط ... بل إنهم يُخططون أيضًا لنَسْف أحد الفنادق بهدفِ شلِّ السياحة العالمية لـ «مصر» ... أي أن هدفهم مزدوج ... ترويع الأمن الداخلي، وضرب الاقتصاد.

ضاقَت عينا «أحمد»، وقال: لقد بدأتُ أفهم يا سيدي؛ فليس المطلوب هو القبض على أعضاء هذه المجموعات الإرهابية فقط ... بل أيضًا على آخرين ... داخل البلاد. تلك المسمَّاة بالمجموعة الساكنة.

رقم «صفر»: بالضبط ... هذا هو ما تهدف إليه قوى الأمن في «مصر» ... فحسب أنظمة الإرهاب العالمية، فهناك ما يسمَّى بالمجموعة الساكنة أو الخلايا الساكنة ... وهم بعض الأفراد التابعين لمنظمة إرهابية أو دولة إرهابية يُقيمون في إحدى البلاد، ويتجنَّسون بجنسيتها، ويمارسون نشاطًا عاديًّا يُبعدهم عن أية شبهة ... ولكن حالما تصدر إليهم الأوامر من الجهات التابعين لها، فإنهم يقومون بعمليات إرهابية خاطفة داخل المجتمع الذي يعيشون فيه، ثم يعودون إلى أعمالهم وشخصياتهم الأولى ... دون أن يُثيروا الريبةَ فيهم، ودون أن تَصِل إليهم يدُ العدالة ... والذي لا شك فيه أن هناك عددًا من الخلايا الساكنة تعيش في «مصر» ... وتمارس نشاطًا عاديًّا، وأنها تنتظر نجاحَ إحدى المجموعات

الإرهابية في الدخول إلى «مصر» ... لتتصل بها وتعمل على التنسيق معها في أعمالها الإرهابية.

هتفت «إلهام»: شيء مذهل ... إنه تفكير جهنمي ...

عثمان: ولهذا ستسمحون لتلك المجموعة الإرهابية بالدخول إلى «مصر» ... ومن المؤكَّد أنهم سيقومون بالاتصال بالخلايا الساكنة أولًا للتنسيق فيما بينها ... وقبل أن يقوموا بأية عملية إرهابية تُلقون القبض على الجميع.

رقم «صفر»: بالضبط ... وبذلك نكون قد كشفنا إحدى تلك الخلايا الساكنة، وكشفنا أمرَها. وقد يؤدي سقوطُها إلى سقوط بقية الخلايا الأخرى إن كان هناك اتصال بينها، خاصةً أن تلك الخلايا الساكنة مُدرَّبة على صناعة قنابل محلية بوسائل بسيطة ... فهي بذلك تمثِّل خطرًا داخليًّا لزعزعة الأمن لا يمكن الاستهانة به.

تساءل «قيس»: هل هناك أية معلومات عن تلك المجموعات الإرهابية التي ستصل إلى «مصر»؟

أجاب رقم «صفر»: بل هناك فيلمٌ تليفزيونيٌّ قصيرٌ يمثِّلها وهي تقوم بإحدى عملياتها.

بو عمير: هذا مذهل، ومَن الذي التقط شريطَ هذا الفيلم؟

رقم «صفر»: إنه مصوِّرٌ إيطالي هاوٍ ... كان متواجدًا في نفس المكان بالصدفة على مسافة، وعندما بدأ الإرهابيون عملَهم استطاع التقاطَ الفيلم، وقد قام بتسليمه للسلطات الإيطالية فيما بعد ... غير أن الإرهابيِّين سارعوا بالهرب من البلاد، وتمكنَّا من التعاون مع السلطات الإيطالية لتسليمنا نسخةً من الفيلم للاستعانة بها في التعرُّف على هؤلاء الإرهابيِّين وأسلوبهم في العمل ... ومن المدهش أنهم من الجرأة بحيث يمارسون عملياتِهم الإجرامية دون أن يضعوا أية أقنعة فوق وجوههم ... وضغط رقم «صفر» بجواره، فأظلمَت القاعة ... وأُضيئَت شاشةٌ سينمائية صغيرة إلى اليمين، وبدأ عرض الشريط التليفزيوني.

كان المشهد يصوِّر أحدَ السياسيِّين الأجانب، وهو يقترب في موكب رسمي داخل سيارة مصفحة، تحيط به مجموعةٌ من الحرس المسلحين فوق الموتوسيكلات وسيارات الجيب.

وفجأةً طارَت كرةٌ صغيرة من إحدى الشرفات القريبة، وسقطَت أمام السيارة المصفحة، ودوَّي انفجارٌ كبير عند ارتطام الكرة بالأرض ... وفي الحال ساد الاضطراب صفوفَ الحراس، فسقط راكبو الموتوسيكلات، وتوقَّفَت سيارات الجيب في عنف ... واندفع الحراس شاهرين مدافعَهم الرشاشة في كل اتجاه بعد أن توقَّف الموكب الرسمي. أما السيارة المصفَّحة فلم تُصَب بسوء، ولم تستطع شظايا القنبلة اختراقَها.

ثم اندفع أحد الحراس نحو السيارة المصفَّحة، وهتف في السياسي الأجنبي: فلتُسرع بمغادرة السيارة يا سيدي ... فهناك قنبلة أخرى بداخلها ستنفجر حالًا.

وعلى الفور اندفع السياسي خارجًا من السيارة، وفي نفس اللحظة مرقَت سيارة صغيرة بجواره، وبها راكبان؛ رجل وفتاة، وانطلق منها سيلٌ من الرصاص نحوه، فسقط السياسي على الأرض قتيلًا ... واندفعَت السيارة الصغيرة هاربة. وما إن أفاق الحراس لما حدث حتى اندفعَت سيارة الجيب المسلَّحة خلف السيارة الصغيرة ... وقبل أن تلحق بها ظهر من أحد الشوارع الجانبية أوتوبيس صغير قام بسد الشارع أمام عربات الجيب المسلحة، وما كادت تَصِل إليه حتى انفجر الأوتوبيس، وتحوَّل إلى شعلة ملتهبة، واستحال على سيارات الجيب مواصلة مطاردة السيارة الصغيرة، بينما أسرع سائق الأوتوبيس باللحاق بالسيارة الصغيرة، ثم فرَّت دون أن يتمكَّن أحد من اللحاق بها.

توقَّف عرض الفيلم وأُضيئَت الأنوار ... وبدَت الدهشة على وجوه الشياطين لما شاهدوه من براعة الفريق الإرهابي في تنفيذ عملية الاغتيال والهرب ... وقالت «إلهام» متسائلة: بالطبع فإن أحدًا لم يتمكن من اللحاق براكبي السيارة الصغيرة؟

رقم «صفر»: لا ... لقد مشَّطَت السلطات الإيطالية البلادَ بحثًا عن راكبي السيارة دون فائدة. وبرغم معرفة السلطات الإيطالية لملامحها، إلا أنها لم تتمكن من القبض عليهما ... أيضًا فإن سائق الأوتوبيس المحترق لم يعثر عليه أحد ... وأثبتَت تحريات الشرطة الإيطالية أن السيارة الصغيرة مسروقة، ولم يترك بها الإرهابيون أيةَ بصمات ... وكذلك كان الأوتوبيس مسروقًا وملغومًا لينفجر حالما يُغادره سائقُه ...

عثمان: والإرهابي الذي ألقى القنبلة على الموكب ... ألم يُقبَض عليه؟

رقم «صفر»: لم يكن هناك أحدٌ في تلك البناية ... وثبت من تحقيقات الشرطة الإيطالية أن القنبلة كانت معلَّقةً بخيط في الشرفة ومتصلة بجهازٍ إلكتروني يمكن التحكم فيه عن بُعد ... ولا شك أن راكبَي السيارة الصغيرة هما اللذان قامَا بذلك عند اقتراب الموكب الرسمي من الهدف ... إن هذا يدل على براعة هذه المجموعة الإرهابية وتخطيطها للعملية في إتقانٍ شديد ...

تساءل «بو عمير» قائلًا: ولكن يا سيدي، مَن الذي قام بذرع تلك القنبلة داخل سيارة الدبلوماسي الأجنبي؟

أجاب رقم «صفر» في هدوء: لم تكن هناك أية قنبلة داخل السيارة!

بو عمير: ولكن ...

رقم «صفر»: لقد كان ما حدث جزءًا من الخطة الإرهابية ... فذلك الحارس الذي اقترب من السياسي وحذَّره من وجود القنبلة داخل سيارته، كان حارسًا زائفًا انضمَّ إلى بقية الحراس أثناء الاضطراب الذي ساد بعد انفجار القنبلة مرتديًا نفسَ الملابس ... وبالطبع فإن هدفَه كان إخراجَ السياسي من سيارته المصفَّحة لكي يتمكن زميلاه داخل السيارة الصغيرة من قتله ... فبالرغم من أن السياسيَّ الأجنبي كان يستقلُّ سيارة مصفحة لا تؤثر فيها القنابل، ولا طلقات الرصاص ... إلا أن الإرهابيِّين الأربعة استطاعوا تنفيذَ جريمتهم بدقة وذكاء ... وبالطبع فقد استطاع ذلك الحارسُ المزيف الابتعادَ والهرب بعد أن قام بدوره. وهذا يؤكد أن هؤلاء الأفراد الأربعة قد تلقَّوا تدريبًا عاليًا جدًّا في عملهم الإجرامي. أما استطاعتهم الهرب خارج البلاد بعد تنفيذهم عمليتهم فهو يدل على أن هناك منظمةً شديدةَ القوة تقف خلفهم.

تساءلت «زبيدة»: وما اسم هذه المنظمة الإرهابية؟

رقم «صفر»: إنها تُدعَى منظمة «الأصابع الدموية»، وهي منظمة ليس لها هدفٌ سياسيٌّ مُعلَن، إنها أشبهُ بالمرتزقة الذين يستأجرهم بعضُ الأفراد لمهامٍّ خاصة مقابل ثمن مرتفع ... لقد اضطرَّتهم الشرطة الإيطالية إلى الهرب إلى مكان مجهول. وقد نتمكَّن من كشف الكثير من أسرار وأعضاء هذه المنظمة الإرهابية عند القبض على أفرادها ... وسنعرف أيضًا الجهةَ التي تموِّلهم وتدفعهم للقيام بتلك العملية التخريبية في «مصر».

وضغط رقم «صفر» على زرٍّ بجواره، فانطبعَت صورُ الإرهابيِّين الأربعة فوق الشاشة أمام الشياطين ... كانوا ثلاثةَ شبان وفتاة ... كان أحدُهم نحيلًا طويلًا بوجهٍ مثلَّث، له نظرةٌ حادة مليئة بالدهاء ... وكان الثاني قصيرًا ممتلئَ الجسم بعضلاتٍ قوية وشاربٍ كثيف ورأسٍ له مقدمةٌ صلعاء ... أما الثالث فكان رياضيَّ الجسم بوجهٍ وسيمٍ يوجد أثرٌ لجرحٍ عميق في ذقنه، أما الفتاة فكانت طويلةً نحيلةً بشعرٍ بنيٍّ وملامحَ قوية، وعينَين ذات نظرة مليئة بالقوة والشر ...

قال رقم «صفر»: إننا لا نعرف لهؤلاء الإرهابيِّين اسمًا ... ولا ندري ما هي الأسماء التي سيأتون بها إلى «مصر» في جوازاتهم ... ولذلك سنُطلق عليهم أسماءً كوديَّة من جانبنا ... فالأول سندعوه «كارلو»، والثاني «جاك»، والثالث «ألبرت» ... أما الفتاة فسندعوها «صافي».

مصباح: ومتى ستصل أفراد «الأصابع الدموية» إلى «مصر»؟

رقم «صفر»: مساء الغد في طائرة العاشرة مساءً القادمة من «قبرص»، وهناك شقة مفروشة محجوزة باسمهم في إحدى عمارات ميدان المساحة بالدقي ... وستكون مهمةُ مجموعة الشياطين التي ستُراقب هذا الفريق الإرهابي هي كشفَ الخلايا الساكنة التي ستحاول الاتصال بالإرهابيِّين. وعلى ذلك فيجب ألَّا يغيبَ هؤلاء الإرهابيون لحظةً واحدة عن عيونكم ... إلى أن يسقطَ الجميع في المصيدة، وقبل القيام بأية عملية إرهابية داخل البلاد.

ساد صمتٌ عميق بعد كلمات رقم «صفر» ... وبدَا على الشياطين اللهفة لمعرفة أفراد الفريق الذي سيقوم بمراقبة ومطاردة هؤلاء الإرهابيِّين.

وأخيرًا تحدَّث رقم «صفر» قائلًا: سوف يتكوَّن فريقُ المطاردة من أربعة أفراد، هم «أحمد»، و«خالد»، و«قيس»، و«إلهام» ...

وفي صوت عميق أضاف: وفَّقكم الله لحمايةِ أمنِ وطننا العربي.

أبو الحسن!

جاء صوتُ المذيعة في ميكروفون صالة الوصول بمطار القاهرة يقول: وصلَت الآن الرحلة رقم ٧٣٤ القادمة من «قبرص»، وتستعدُّ الطائرة للهبوط فوق أرض المطار. تبادل الشياطين الأربعة النظراتِ.

وقالت «إلهام»، وقد التمعَت ابتسامةٌ صغيرة فوق وجهها: إنها المرة الأولى التي نمارس فيها دور الشرطي ... فنكتفي بالمراقبة ونَحُول دون وقوع الجريمة.

خالد: ولكنها ليست مهمةً عادية بأيِّ حالٍ من الأحوال ... فنحن نُطارد فريقًا إرهابيًّا على درجة عالية من المهارة والذكاء ... ومن المهم أن نكونَ في أشدِّ الحذر أثناء تلك المراقبة والمطاردة حتى لا نكشفَ أنفسنا.

أحمد: مَن يدري ... قد تتحول تلك المراقبة إلى معركة لا هوادةَ فيها.

إلهام: ماذا تقصد يا «أحمد»؟

أحمد: إن عالَم هؤلاء الإرهابيِّين حافلٌ بالمفاجآت غير السارة ... وعلينا أن نكون متأهِّبين لأيِّ احتمال في أية لحظة.

وصمتَ «أحمد»، وقد اكتسى وجهُه بتعبيرٍ صارمٍ من القسوة والجدية ... وراحَت أعينُ الشياطين تُراقب ركَّاب الطائرة القبرصية الذين بدءوا يغادرون صالة الوصول، ومن بينهم الإرهابيون الأربعة بعد أن اجتازوا الجمارك والتفتيش دون أن يعبثَ أحدٌ بأمتعتهم ... فتبادلوا ابتسامةً واثقة ساحرة وهم يدسُّون جوازاتِ السفر الخاصة بهم في جيوب معاطفهم الثقيلة.

وهمسَت الفتاة ساخرةً لزملائها: كنتُ أظنُّ أننا سنتعرض لتفتيش أكثر دقَّة وبعض الريبة أيضًا من سلطات المطار.

أجابها أحد زملائها: إن المصريين هكذا دائمًا ... يزدادون حماسًا عند بداية الأحداث، ثم يَخْفِت حماسُهم مع مرور الوقت، ولا تنسَوا أن هناك آلافَ السياح الذين يَصِلون كلَّ يوم ... ويستحيل على المصريِّين أن يشكُّوا فيهم جميعًا.

أحكم «جاك» القصيرُ معطفَه الثقيل حول رقبته، وهو يقول: إن الأمور تسير سيرًا حسنًا ... هذا رائع.

وغادر الأربعة صالةَ الوصول يدفعون أمامهم حقائبهم القليلة فوق عربة حقائب صغيرة متحركة. وأشارت الفتاة إلى تاكسي، وبعد حديث قصير وافق السائق بهزِّ رأسه، ثم وضع الحقائب فوق السيارة ... ودلَف الإرهابيون الأربعة إلى داخل التاكسي، الذي تحرَّك بهم مغادرًا المكان.

وعلى الفور تحرَّكَت سيارة الشياطين خلف التاكسي في هدوء ... وكانت سيارة الشياطين من طراز ١٢٨ الصغيرة؛ بحيث لا تُثير الشكَّ في راكبيها، وقد راح «خالد» يقودها على بُعد مسافة غير بعيدة من سيارة التاكسي.

كان الطريق من المطار إلى قلب القاهرة يكاد يكون خاليًا من السيارات والمارة في ذلك الوقت المتأخر من بداية شهر يناير البارد ... وقد بدأ رزازٌ خفيفٌ من المطر يسقط في أنحاءٍ متفرقة، وعاد «جاك» القصير يُحْكِم معطفَه حول رقبته وهو يقول: كنت أظنُّ أن الطقس في القاهرة سيكون أكثرَ دفئًا.

أجابه «كارلو» النحيل ساخرًا بالإيطالية: لسوف نجعله أكثرَ دفئًا وحرارة عندما تبدأ قنابلنا في الانفجار.

انتفضَت «صافي» في غضبٍ هائل نحو «كارلو» هاتفةً باليونانية: أيها الغبيُّ، حاذر فيما تقول، وأشارَت نحو السائق إشارةً ذات مغزًى، وأكملَت باللغة التركية: قد يكون هذا السائق يعرف الإيطالية ويفهم حديثَنا ... وربما كان يعمل مرشدًا لرجال البوليس في بلاده ... فأغلبُ سائقي التاكسي في كل بلاد العالم على اتصال برجال الشرطة.

رمق «كارلو» السائقَ في المرآة الداخلية، ثم قال ساخرًا: إنه يبدو لي شديد الغباء ... والجميع يعرفون أن سائقي التاكسي في هذه البلاد لا يُجيدون أيةَ لغة غير بضع كلماتٍ من الإنجليزية أهمُّها كلمة بقشيش.

وانفجر ضاحكًا، فابتسم زميلاه ... على حين كانت «صافي» لا تزال على تجهُّمها وجمودها ... وساد السيارةَ صمتٌ ثقيل.

أما في سيارة الشياطين، فكان الأمر مختلفًا ... فقد جاءَتهم كلماتُ الإرهابيِّين واضحةً عبر الميكروفون السِّري المزروع داخل سيارة التاكسي ... والتي لم يكن سائقها غير مقدم

بأمن الدولة، يُجيد ستَّ لغات! تبادل الشياطين النظرات ... وقالت «إلهام» مقطِّبة: من الواضح أن الفتاة هي زعيمة الشبكة ... فكلماتُها تحمل لهجةَ الأمر ...

أحمد: هذا واضح ... ومن الواضح أيضًا أنهم جاءوا لتفجير الأماكن ... وأن هذه الأعمال الإرهابية تبدو لهم ممتعة.

خالد: ستضيع متعتُهم حالما يُقبَض عليهم متلبِّسين ويقضون بقيةَ أعمارهم خلف القضبان، وأضاء جهاز الاستقبال الصغير في جيب «إلهام»، وأحسَّت بدفئه ... وفي الحال بدأَت تتلقَّى الرسالة القادمة من رقم «صفر» ... وما إن انتهَت من استقبالها حتى التفتَت إلى زملائها قائلةً: لقد أثبتَ فحصُ أمتعة الإرهابيين الأربعة في المطار، أنهم لا يحملون أيةَ أسلحة في أمتعتهم ولا في ملابسهم كذلك.

أحمد: ... هذا لا يُدهشني؛ فإن مثل تلك الأسلحة هي التي تكشف عن أمثال هؤلاء الإرهابيِّين، وبعد أن تمكَّنَت السلطات من القبض على كلِّ مجموعات الإرهابيِّين بأسلحتها، فلا بد أن أيةَ مجموعة إرهابية أخرى قادمة لن تحمل أيةَ أسلحة معها حتى لا ينكشفَ أمرُها ... وبعد ذلك سيكون من السهل عليهم الحصول على الأسلحة من الخلايا الساكنة بعد الاتصال بها.

قيس: لقد أصبح هؤلاء الإرهابيون أكثرَ حذرًا.

خالد: إن رجال الأمن عادةً يطوِّرون أساليبَهم بتطوير المجرمين لأسلوبهم.

وعبرَت السيارة التاكسي كوبري قصر النيل متجهةً إلى كوبري الجلاء ... ثم انطلقَت باتجاه أحد الميادين، وخلفها سيارة الشياطين.

وتوقَّف التاكسي أمام عمارة كبيرة في قلب الميدان، وغادر الإرهابيون التاكسي حاملين حقائبهم داخل العمارة ... فهرع إليهم البواب يساعدهم في حملِها ... وبعد دقائق كانت سيارة الشياطين تقف أمام نفس العمارة ... وهبط الشياطين الأربعة منها، فهرع إليهم البواب باسمًا، ورفع يده بالتحية قائلًا: لقد قُمت بتنظيف الشقة المفروشة التي استأجرتموها بالأمس ... أليست هناك أية حقائب معكم أحملها لأعلى؟

إلهام: لا ... سوف نأتي بها غدًا.

ومنحَت البوابَ بقشيشًا سخيًّا، ثم صَعِدَت مع بقية الشياطين لأعلى ... وقد حمل كلٌّ منهم حقيبةَ يدٍ صغيرة ... وأدار «أحمد» المفتاح الذي أعطاه له البواب في قُفْل باب الشقة ... وقد صوَّب نظراتٍ قاسيةً نحو باب الشقة المجاورة ... شقة الإرهابيِّين الأربعة.

وما كاد الشياطين يستقرُّون داخل الشقة، ويُغلقون بابها، حتى فتح «أحمد» حقيبتَه الصغيرة، وأخرج منها جهازَ تصنُّتٍ صغير ألصقه بالحائط المجاور لشقة الإرهابيِّين.

وألصقَت «إلهام» جهازًا مماثلًا بحجرة النوم ... وراح الشياطين يُنصتون من خلالها إلى أحاديث الإرهابيِّين الأربعة.

وجاء صوت «كارلو» يقول: سوف أُجري اتصالًا لأُخبرَ الإخوة بوصولنا.

وما كاد يرفع سماعة التليفون، حتى صاحَت «صافي» به: انتظر أيها الغبي ... ماذا تفعل ... قد يكون التليفون مراقَبًا.

وفي صوتٍ غاضبٍ حادٍّ أضافَت: لقد زادَت أخطاؤك في الفترة الأخيرة، وبدأت تنسى واجب الحذر. مَن يدري ماذا يحدث حولنا؟ إن كلَّ الأمور تُشير إلى أننا في أمان، ولا أحدَ يشك فينا ... ولكنني تعودتُ دائمًا ألَّا أنساقَ وراء المظاهر.

ألبرت: معكِ حق ... علينا أن نكون في منتهى الحذر ... ولكن كيف سنتصل بـ «أبو الحسن».

وقاطعَته «صافي» في عنف: توقَّف عن الحديث أيها الغبي، ولا تذكر أسماء.

ومرَّت لحظةُ صمتٍ متوترة، والشياطين يرمقون بعضهم في انتظار وترقُّب، ولا يدرون ما يحدث في الناحية الأخرى.

وجاء صوت «صافي» بعد لحظة يقول في سُخرية: الآن يمكننا أن نتحدث دون أن نخشى من أن يتصنَّت علينا أحد.

وضغطَت فوق زرِّ التشغيل لجهاز الكاسيت أمامها، فانبعث صوتُ أغنية غريبة ذات إيقاعٍ صاخبٍ عالٍ.

وتبادل الشياطين النظراتِ الغاضبة ... كانت «صافي» أكثرَ دهاء مما ظنوا. وكان من المستحيل عليهم أن يستمعوا إلى شيء من حديث الإرهابيِّين بسبب صوت الأغنية الصاخبة.

هتف «خالد» في غضب وانفعال: هؤلاء الماكرون ... إن أفضل ما نفعله هو أن نذهب إليهم، ونحطِّم رءوسهم، ونُجبرهم على الاعتراف بأسماء شركائهم من الخلايا الساكنة.

قاطعه «أحمد» في هدوء قائلًا: لن يُفيدَ هذا بشيء؛ فمثل هؤلاء الأفراد لا يمكن إجبارهم على الاعتراف بشيء ... كما أنه من المفترض أنهم لا يعرفون أفراد الخلايا الساكنة ... بل إن هؤلاء الأفراد هم مَن سيُبادرون بالاتصال بهم وإعطائهم الأسلحة والقنابل.

إلهام: ولكن مَن يكون «أبو الحسن» هذا؟

قيس: لا بد أنه المسئول ورئيس الخلايا الساكنة ... وهو المسئول عن إجراء الاتصال الأول بأفراد منظمة «الأصابع الدموية» ... ولا شك أن اسمَ «أبو الحسن» اسمٌ كودي، وليس اسمًا حقيقيًّا.

هتف «خالد» في انفعال: إنني مستعدٌّ أن أدفع نصفَ عمري وأعرف ما الذي يتحدث فيه هؤلاء المجرمون.

لم ينطق أحدٌ بشيء ... أما «أحمد» فكان غارقًا في تفكير عميق.

رسالة بالشفرة!

تبادل الشياطين المراقبةَ والإنصات حتى الصباح ... كان صوت الكاسيت قد توقَّف بعد نصف ساعة، وساد سكونٌ عميق حتى الصباح ...

وقبل الساعة التاسعة كان الإرهابيون الأربعة يستقلُّون تاكسيًا إلى وكالة لتأجير السيارات، ويستأجرون سيارة شيفورليه عريضة كبيرة ... ثم اتجهوا بها إلى منطقة الأهرامات، وسيارة الشياطين الصغيرة تَتْبعهم عن بُعد.

إلهام: هل تظنون أن اتصال الإرهابيين بـ «أبو الحسن» سيبدأ اليوم؟

قيس: هذا ما نرجوه.

أحمد: سوف تكون مراقبةُ هؤلاء الإرهابيِّين داخل منطقة الهرم أمرًا صعبًا؛ فالمنطقة مزدحمة حافلة بالسياح ... وقد لا يكون الاتصال المنتظر أكثرَ من كلمةِ سرٍّ يتبادلونها بسرعةٍ أو رسالة صغيرة يَدسُّها أحدُهم في يدِ الآخر دون أن ننتبهَ لذلك.

خالد: دعونا لا نسبق الأحداث.

توقَّفَت الشيفورليه أمام منطقة الهرم ... وغادرها الإرهابيون الأربعة، وتوجَّهوا إلى سفح الهرم ... وهتف «خالد» في الباقين: سأقوم بزرع ميكروفون سرِّي بداخل سيارة هؤلاء المجرمين، وسألحق بكم بعد قليل.

أومأ بقيةُ الشياطين برءوسهم بالموافقة ... وغادر «خالد» السيارة التي دار «أحمد» بها، وركنَها على مسافةٍ من الشيفورليه، وغادر الشياطين الثلاثة السيارة، وراحوا يتتبَّعون أعضاءَ منظمة «الأصابع الدموية»، وعيونُهم لا تغفل عنهم ...

ولكن المراقبة لم تؤدِّ إلى شيء ... فقد قضى الإرهابيون وقتَهم كأيِّ سياحٍ عاديِّين يشاهدون الآثار، ويركبون الجمال، ويلتقطون الصور دون أن يحاولوا الاقتراب من أحد، أو أن يفعلوا ما يريب ... وفي نهاية اليوم عادوا إلى سيارتهم التي حملَتهم إلى مسكنهم مرة

أخرى، وسيارة الشياطين خلفهم، ولم يحمل لهم الميكروفون السري غيرَ حديثٍ عاديٍّ ... إلى أن قالَت «صافي»: لم أكن أظن أن الأهرامات بمثل هذه الضخامة.

وعاد الإرهابيون إلى شقتهم، وكذلك الشياطين، وعاد صوت الكاسيت يعلو بأغنية غربية صاخبة، وترامق الشياطين في قلق. وقالت «إلهام»: إنهم لم يُجروا أيَّ اتصالات تليفونية؛ فلماذا يرفعون صوت الكاسيت بتلك الصورة؟

خالد: لعلهم يتحدَّثون عن خُطَّتهم القادمة.

إلهام: لو كانوا في حاجة إلى حديث من هذا النوع لتبادلوه في الأهرامات، حيث لا يخشَون أن يكون هناك مَن يتصنَّت عليهم.

خالد: إذن ما سرُّ ما يفعلون؟

أحمد: ليس هناك غيرُ احتمال واحد ... إنهم يقومون باتصال لاسلكي بواسطة جهاز إرسال واستقبال خاص معهم.

هبَّت «إلهام» واقفة وهي تقول: يوجد معنا أحدثُ جهازٍ لاستقبال الموجات اللاسلكية ... سآتي به حالًا.

واندفعَت إلى حجرتها ... وعادت بجهاز صغير متصل بإيريال خارجي ... وراحَت تُدير محطاته حتى توقَّفَت لاهثةً أمام إحدى المحطات ... كان من الواضح أن هناك رسالة تُرسَل بالشفرة ... وأسرعَت «إلهام» إلى تسجيل الرسالة ... وكان حلُّها سهلًا، وترجمَتها «إلهام» قائلةً: في مكانٍ ما على النيل على مسافة مائة متر بالضبط ... على عمق سبعة أمتار ... الليلة.

تبادل الشياطين النظراتِ المندهشة ... وتساءل «خالد»: ما معنى هذه الرسالة ... هل هو موعد لمقابلة هؤلاء الإرهابيِّين بأفراد الخلايا الساكنة و«أبو الحسن»؟

قيس: ولكن هل تتم المقابلة على عمق سبعة أمتار من الأرض أو النهر. إن الأمر بهذا الشكل يبدو مستحيلًا.

ضاقَت عينَا «أحمد» وهو يقول: لقد بدأتُ أفهم معنى تلك الرسالة ... من المؤكد أن هذا المكان يحدِّد لهؤلاء موقع الأسلحة التي سيتسلمونها للقيام بعملياتهم داخل «مصر» ... فلا شك أن الرشاشات والقنابل مخفاة في أكياس بلاستيكية لا يتسرَّب إليها الماء ... وقد وُضعَت في ذلك المكان النائي على عمق سبعة أمتار في قلب النيل، فيستحيل على أيِّ إنسان اكتشافها ... ومن المؤكد أن «أبو الحسن» ومجموعته هم مَن وضعوها في ذلك المكان.

قالت «إلهام» في قلق: إن هذا معناه أن أفراد تلك الخلايا لن يكشفوا عن أنفسهم لأعضاء منظمة «الأصابع الدموية»، وسيكتفون بإمدادهم بالأسلحة.

قيس: إن هذا يهدم خُطتَنا من أساسها ... ويجعل من المستحيل الكشف عن شخصية أفراد هذه الخلايا الساكنة.

إلهام: المهم الآن أن نمنع هؤلاء الإرهابيِّين من الحصول على الأسلحة.

أحمد: لا، بل سنُسهِّل لهم الحصول عليها، وسنترك كلَّ شيء يسيرُ حسبما خطَّط له هؤلاء المجرمون.

هتفَت «إلهام» في توترٍ شديد: ماذا تقول يا «أحمد» ... إن وصول هذه الأسلحة لأيدي «الأصابع الدموية» فيه خطورة كبيرة.

ضاقَت عينَا «أحمد» وهو يقول: لن تكون للأسلحة أية فائدة مع أعضاء «الأصابع الدموية»، إن هذه الطريقة ستدفع بأفراد الخلايا الساكنة للكشف عن أنفسهم رغمًا عنهم.

إلهام: كيف ذلك يا «أحمد»؟

أحمد: سأُخبركم في الطريق ... والآن هيَّا بنا؛ فلا وقتَ لإضاعته.

قيس: أين سنذهب؟

أحمد: إلى الكورنيش ... فيجب أن نسبق «الأصابع الدموية» في الوصول إلى هناك لنقوم بعمل صغير.

ولمعَت عيناه ببريق التحدِّي ... وقد ارتسمَت على وجهه نظرةٌ واثقة ساخرة إلى أقصى حدٍّ. ولمعَت عينَا «إلهام»، وقد بدأت تُدرك ما يقصده «أحمد»، أما «خالد» و«قيس» فظهرَت الحيرة على وجهَيهما.

ولكن ... وخلال دقائق كانت سيارة الشياطين الصغيرة تحملهم باتجاه الكورنيش ... وقد بدأ الليل يسقط في المكان ... وظهر نهر النيل إلى يمين سيارة الشياطين هادئًا ... رقراقًا ... يجري بالخير والرزق للناس جميعًا ... دون أن يدريَ أن هناك مَن وضع الموت في قلب الحياة النابض فيه!

صراع تحت الماء!

توقَّفَت سيارةُ الشياطين على مسافة من الكورنيش العامر بالأضواء ... وإلى الخلف كانت بقعة مظلمة هادئة ... فاقترب منها الشياطين في حذرٍ ... وكانت خطة الشياطين بسيطة ... أن يغوصَ أحدُهم إلى قلب النيل، ويقوم بتمزيقِ جزءٍ من الصندوق البلاستيك الذي يحفظ الأسلحة من الماء، وبذلك يتسرَّب الماء إلى الأسلحة فيُفسدها ... مما يدفع أعضاء منظمة «الأصابع الدموية» إلى الاتصال مرة أخرى بأفراد الخلايا الساكنة، وطلب أسلحة أخرى ... وهذا سيدعو أفراد هذه الخلايا للظهور، وكشف أنفسهم ... أو أن يتركوا دليلًا يكشف عن شخصياتهم وأماكنهم ...

كانت الشمس قد غربَت تمامًا، وساد الظلامُ المكانَ ... وقد اقتربَت الساعة من السابعة مساء ... وهمس «أحمد» لبقية الشياطين: سأغوص في المكان المحدَّد لتمزيقِ جزءٍ من كيس الأسلحة.

هتفَت «إلهام» رغمًا عنها: ولكن الماء سيكون باردًا جدًّا في هذا الوقت.

قال «أحمد» باسمًا: من المؤسف أنه ليس لدينا وقتٌ لإحضار ملابس الغوص ... فلم يكن في حُسباننا أن جزءًا من المهمة سيدور في قلب النيل. وخلع «أحمد» ملابسه، وبقيَ بملابس البحر التي كان قد استعدَّ بها قبل مغادرة المسكن، ولوَّح لبقية الشياطين، ثم قفز إلى قلب النيل.

كان الماء شديد البرودة ... ولكن «أحمد» شرع في السباحة بقوة ليدفع بالحرارة إلى جسده ... وعند المكان المحدد أخذ نفَسًا عميقًا ... ثم غاص في قلب النهر ... ووقف الشياطين الثلاثة على حافة سور الكورنيش المظلم، وهمسَت «إلهام» في قلق لـ «خالد» و«قيس»: هل تظنَّان أن هناك أيَّ خطرٍ ينتظر «أحمد» بأسفل؟

أَجابها «قيس» في ثقة: لا تخشَى شيئًا ... فإن «أحمد» قادرٌ على مواجهةِ أيِّ خطر.

غاص «أحمد» سريعًا في قلب الماء. كان المكان مظلمًا وجَوف الماء شديد البرودة ... ولم يكن مع «أحمد» بطارية يُنير بها قلبَ الماء المظلم ... ولكنه راح يتحسَّس قاع النهر قربَ ضفتِه اليُمنى باحثًا عن بُغْيته، وأخيرًا عثرَت أصابعُه على كيسٍ بلاستيكيٍّ كبيرٍ أشبهَ بالجوال في حجمه ... وعلى الفور بدأَت أصابعُ «أحمد» تعمل في إحداثِ ثقبٍ صغير في الكيس كان كافيًا ليتسرَّبَ الماءُ من خلاله، ويُفسد محتوياتِه، وبحيث يبدو التمزيق كما لو كان بفعل الصخور.

وأحسَّ «أحمد» بنَفَسِه يضيق ... واستعدَّ للصعود إلى أعلى ... وفجأةً أحسَّ بحركة خلفه، فاستدار بسرعة ... ولمح ضوءَ بطارية يقترب منه كاشفًا عنه ... ولم يكن «أحمد» بحاجة إلى رؤية صاحب البطارية ليعرف أنه غواصٌ في ملابس غوص، كما لم يكن بحاجة إلى ذكاء شديد ليستنتجَ أن ذلك الغواص لا بد وأن يكون عدوًّا ... وبمعنًى أدق ... أحد أفراد الخلايا الساكنة ... ولعله كان يقوم بحراسة الأسلحة لحين التقاط منظمة «الأصابع الدموية» لها.

مرَّت الخواطر السابقة في ذهن «أحمد» بسرعة ... وأدرك أنه في موقف صعب جدًّا بلا سلاح أو أوكسجين ... وبقية الشياطين بأعلى لا يدرون أيَّ خطر مميت يُواجهه في قلب الماء.

واتخذ «أحمد» قرارَه في نفس اللحظة ... لم يكن لديه وقتٌ للتراجع ولا أوكسجين كافٍ يُتيح له المناورة والاختفاء، وصدرُه يكاد يختنق لقلة الأوكسجين ... وفي جرأةٍ اندفع إلى الإمام مهاجمًا عدوَّه ...

وفوجئ الغواص بهجوم «أحمد» الذي لم يتوقَّعه، وقبل أن يصوِّبَ بندقيَّتَه المائية نحوه، اندفعَت ذراع «أحمد» في حركة سريعة لتجذبَ خرطومَ الأوكسجين من أنبوبة الغواص، فانتزعه من مكانه، وبضربةٍ هائلة صوَّبَها إلى الغواص، فتراجع في ألمٍ شديد، وأفلتَت البندقية من بين أصابعه وتهاوَت إلى قلب الماء المعتم.

وكان هذا أقصى ما يمكن لـ «أحمد» أن يقوم به، وشعر كأنَّ حريقًا قد شبَّ في صدره، وأنه يكاد يختنق لقلة الأوكسجين، فترك عدوَّه واندفع يصعد لأعلى بأقصى سرعته ... وشعر أنه يكاد يموت ... وكاد يستسلم، ولكن في اللحظة الأخيرة برزَ رأسُه فوق سطح الماء، فتنفَّس في عمقٍ وهو لا يصدِّق بنجاته، وسبح إلى الشاطئ ... وأسرع يتسلَّق صخور السور الحجري باتجاه الشياطين ... وهو يلهث، ولمَحَت «إلهام» بعضَ الخدوش فوق ذراعَي «أحمد»، فسألَته في قلقٍ وخوف: ماذا حدث يا «أحمد»؟

فأجابها وهو يتنفَّس بسرعة: لقد خُضتُ معركة في قلب الماء مع غواص مجهول، ليس هناك شكٌّ أنه أحد الخلايا الساكنة.

خالد: وكيس الأسلحة ... هل وجدتَه في مكانه؟

أحمد: مزَّقتُه فأغرقَته المياه، وراح يرتدي ملابسَه مرةً أخرى.

قيس: هيَّا بنا نبتعد عن هذا المكان ... فلعل هناك مزيدًا من أفراد الخلايا الساكنة حولنا دون أن نراهم ... وقد يكونون مسلَّحين ...

ولم يكَد «قيس» ينتهي من عبارته حتى دوَّى صوتُ اصطدامِ شيءٍ مكتوم بسور الكورنيش الحجري خلفهم ...

صاحَت «إلهام»: إنهم يُطلقون علينا الرصاص من مسدسات كاتمة للصوت ... فلنُلقِ بأنفسنا على الأرض.

وألقى الشياطين بأنفسهم فوق الأرض ... وزحفوا مبتعدين يحميهم الظلام ... واحتمَوا خلف شجرة قريبة، وراحوا يتطلَّعون حولهم، ولكن ... كان الظلام يُخفي تفاصيلَ المكان.

وغمغمَت «إلهام» في سخط: من المؤسف أننا لا نحمل أية أسلحة.

قيس: وإلى مَن سنوجِّه أسلحتَنا، حتى لو كنَّا نملكها ... إننا في موقع مكشوف لأعدائنا.

قال «أحمد» في قلق: إن ما حدث سيكشف لأفراد هذه الخلايا الساكنة وللإرهابيِّين الأربعة أن هناك مَن يُطاردهم.

إلهام: هذا صحيح، وهو ما يزيد من صعوبة مهمتنا.

قيس: هل تظنون أن هؤلاء الإرهابيِّين الأربعة سيتراجعون عن القيام بعملياتهم الإرهابية بعد أن ظهرنا في الصورة؟

أحمد: إن الساعات القادمة هي الكفيلة بالإجابة عن هذا السؤال ... وإن كنتُ لا أظن أنهم سيتراجعون عن مهمتهم ... بل سيحاولون تنفيذَها بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

ومرَّ الوقت ... وتجاوزَت الساعة التاسعة مساءً دون أن يظهرَ أعضاء منظمة «الأصابع الدموية» الأربعة ... وترامق الشياطين في قلقٍ، وهمسَت «إلهام»: يبدو أن هناك مَن أبلغ هؤلاء المجرمين بما حدَث، وطلب منهم عدمَ المجيء إلى هنا، وأن مهمَّتَهم قد اكتُشفَت، وأن هناك مَن يُطاردهم.

قيس: إذن، فلنُسرع إلى مكانهم ... فلا شك أنهم سيبادرون إلى الفرار بأقصى سرعة.

هتفَت «إلهام»: انتظر يا «قيس» ... قد يكون هناك مَن يصوِّب المسدسات الكاتمة للصوت إلينا في الظلام.

لمعَت عينَا «أحمد» في الظلام، وقال: لا أظن ذلك ... فإن هؤلاء المجرمين لا يُكرِّرون نفسَ الشيء مرتين.

وغادر مكانَه وسار باتجاه سيارة الشياطين الصغيرة، فتَبِعه الباقون واندفع «خالد» إلى السيارة قائلًا: فلنُسرع بمغادرة هذا المكان ...

ولكنه لم يكَدْ يُكمِل عبارتَه؛ فقد جذبه «أحمد» من يده قائلًا في تحذير: لا تلمس السيارة يا «خالد» ...

تساءل «خالد» في دهشة: ماذا هناك؟

هتف «أحمد» في «إلهام»: أعطني بطاريتك الصغيرة يا «إلهام».

ناولَت «إلهام» «أحمد» بطاريتَها في دهشة ... ووجَّهَ «أحمد» ضوءَ بطاريته إلى مقدمة السيارة، وفتح غطاء السيارة في حذر ... وما كاد يُصوِّب ضوءَ بطاريته إلى موتور السيارة، حتى كشف الضوءُ عن كتلة سوداء من مادة شديدة الانفجار، متصلة بأسلاك ولمبات صغيرة حمراء، وتمتدُّ الأسلاك المتصلة بها إلى محرِّك السيارة.

هتف «خالد» غير مصدِّق: إنها قنبلة شديدة الانفجار.

أحمد: وهي مجهزة، بحيث تنفجر حالما يدور محرك السيارة.

إلهام: هؤلاء المجرمون الأوغاد ... لقد توقَّفوا عن إطلاق الرصاص علينا، وقاموا بزرع قنبلة في سيارتنا.

أحمد: وسوف أنتزع القنبلة من مكانها.

قالت «إلهام» في فزع: حاذر يا «أحمد».

أحمد: لا تخشَي شيئًا ... لقد تدرَّبتُ على مثل هذه العملية عشرات المرات من قبل.

وفي مهارةٍ راح يُعالج الأسلاك الموصلة إلى محرك السيارة، حتى قام بفصلها ... ثم انتزعها من المادة المتفجرة أيضًا ... وأخيرًا أزاح المادة المتفجرة من مكانها، وأمسكها بيده، وهو يقول: لم يَعُد منها الآن أيُّ خطر.

قيس: فلنُسرع للحاق بهؤلاء المجرمين ... وسنكون حسنِي الحظِّ لو كان هناك بعضُ أفراد هذه الخلايا الساكنة مع أفراد عصابة «الأصابع الدموية»، فيسقط الجميع بين أيدينا.

واندفعَت سيارةُ الشياطين تشقُّ طريقها عائدةً باتجاه الجيزة، وأخيرًا توقَّفت السيارة أمام العمارة التي يقطنها الإرهابيون الأربعة، وكانت سيارتهم الشيفورليه واقفةً مكانها، والبواب جالسًا يغطُّ في نومه أمام باب العمارة.

قفز الشياطين السلالم قفزًا نحو شقتهم المفروشة، وفحص «أحمد» بابها، ولكن ... لم يكن به ما يريب، ففتحه ... وأسرع الشياطين يضعون ميكروفونات للتصنُّت على الحائط ... ولكنهم لم يسمعوا أيَّ صوت من داخل الشقة المغلقة.

همس «أحمد» في قلق: إنني أخشى أن يكون الإرهابيون قد غادروا المكان ... وعلينا أن نكتشف الحقيقة.

إلهام: وماذا سنفعل؟

أحمد: سوف أتسلَّل إلى داخل شقتهم.

قيس: سآتي معك.

وأشار «أحمد» لـ «إلهام» و«خالد» قائلًا: ابقيَا أنتما هنا لمراقبة المكان.

وغادر «أحمد» الشقة ... وصَعِد إلى سطح العمارة ... ثم قفزَا بداخل شقة الإرهابيِّين دون أن يُثيرَ أيَّ جلبة.

وتقدَّم «أحمد» و«قيس» في حذرٍ نحو قلب الشقة ... ولكنهما لم يسمعَا أيَّ صوت ... وأسرعَا يفتِّشان المكان، ولكن الشقة كانت خاليةً من أيِّ إنسان ... وفي حجرة النوم عثر «أحمد» على أربعة أقنعة جلدية تُستخدَم لتغيير الملامح ... وكان كلٌّ قناع يُشبه أحدَ الإرهابيِّين تمامَ الشَّبه ... كما كانت هناك أربع باروكات شعر تُشبه شعرَ رءوس الإرهابيِّين تمامًا.

هتف «قيس» في دهشة: ما معنى ذلك؟

ضاقَت عينَا «أحمد»، وقال: تحقَّق ما ظننتُه من البداية ... فإن وجوه الإرهابيِّين التي دخلوا بها إلى البلاد ليست وجوهًا حقيقية، بل مجرد أقنعة جلدية تُشبه الجلدَ البشريَّ تمامًا ... وهذا ما استنتجتُه عندما عرفتُ أنهم قاموا بعمليتهم الإرهابية في إيطاليا دون أن يحاولوا إخفاء ملامحهم ... وهذا معناه أنهم كانوا يرتدون أقنعة مطاطية بوجوهٍ مزيفة. وبعد أن قاموا بعمليتهم أسرعوا بنزع الوجوه الزائفة، فكان سهلًا عليهم مغادرة إيطاليا دون اكتشاف حقيقتهم.

هتف «قيس» في سخط: إن هذا معناه أن هؤلاء الإرهابيِّين الأربعة يمتلكون وجوهًا غير التي نعرفها. ونحن نجهل ملامحهم الجديدة، وسيستحيل علينا البحث عنهم، أو العثور عليهم بعد ذلك و...

قاطعه «أحمد» هاتفًا: انتظر يا «قيس»، أنصِت ... ألَا تسمع شيئًا؟

أرهف «قيس» سمْعَه ... كان هناك صوتٌ ضعيف يُشبه دقَّاتِ الساعة يأتي من أسفل الفراش في الحجرة ... ولمَعَت عينَا «قيس»، وقد أدرك معنى تلك الدقات ... وفي نفس

اللحظة أدرك لماذا غامر الإرهابيون بترك أقنعة وجوههم وباروكاتهم المستعارة ... وذلك لأنهم تركوا أيضًا وراءهم قنبلة كانت كفيلةً بأن تُحيلَ المكان إلى جحيم وعشرات الضحايا.

وصاح «قيس»: فلنُسرع بإبطال مفعول هذه القنبلة قبل أن تنسف العمارة.

واندفع «أحمد» و«قيس» في مجهود محموم لإخراج القنبلة من أسفل الفراش، ورمقاها بذهول ... كانت قنبلةً ضخمة من أكبر القنابل التي شاهداها في حياتهما ... ووزنها أكثر من خمسين كيلوجرامًا ... من مادة «تي. إن. تي» الشديدة الانفجار ... كانت قادرةً على نسفِ العمارة بأكملها ... ولم تكن لدى «أحمد» أو «قيس» خبرة بإبطال مفعول تلك القنبلة الكبيرة ... ووقعَت عينَا «أحمد» على ساعة توقيت انفجار القنبلة.

كان باقيًا على انفجارها عشرُ ثوانٍ فقط.

قليل من الحظ!

لم يكن هناك وقتٌ أمام «أحمد» و«قيس» حتى للهرب ...

كانت عقارب ساعة القنبلة تجري بسرعة شيطانية منذرةً بنهايةٍ دموية، وعددٍ من الضحايا لا حصر له ...

وكان أمام «أحمد» و«قيس» تصرُّفٌ وحيد ... أن يُبطلَا عمل القنبلة مهما كان الثمن ... برغم خبرتهما القليلة في ذلك.

وراح «أحمد» يُعالج أسلاك القنبلة في حذر ... وقد تصبَّب بالعرق ... وكان يُدرك أن أية لمسة خاطئة قد يكون معناها انفجار القنبلة ... وتوالَى مرورُ الثواني، ولم يعرف «أحمد» كيف يُوقِف مفعول القنبلة. وتناقصَت الثواني بسرعة رهيبة ... خمس ثوانٍ ... أربع ... ثلاث ... اثنتان، وفي حركة يائسة لطم «أحمد» الساعة الميقاتية كأنه يريد أن يوقف عقارب الموت ... وتهشَّم زجاج الساعة ... وقد تبقَّى ثانية واحدة ... وأغمض «أحمد» و«قيس» عينَيهما في انتظار لحظة الانفجار الرهيب ...

ولكن القنبلة لم تنفجر ... ومرَّت ثوانٍ كأنها دهور، والشيطانان قد استسلمَا لمصيرهما ... وفتح الاثنان عينَيهما في حذرٍ وأطلَّا نحو القنبلة ...

كانت الساعة الميقاتية قد توقَّفت بسبب ضربة «أحمد» ... توقَّفَت قبل النهاية بثانية واحدة ...

هتف «قيس»: إنني لا أكاد أُصدِّق ما يدور. هذه معجزة!

تنهَّد «أحمد» في راحةٍ تامة قائلًا: الحمد لله، مَن يدري ماذا كان يمكن أن يحدث لو انفجرَت هذه القنبلة.

قيس: سأُسرع بالاتصال برجال الأمن لإرسال خبراء في المفرقعات لإبطال مفعول هذه القنبلة، وحملها بعيدًا عن هنا بدون إثارة ذعر السكان. واندفع «خالد» و«إلهام» داخلَين إلى المكان أيضًا بعد أن أصابها القلق لتأخُّر «أحمد» و«قيس» في العودة.

وتساءلَت «إلهام» في قلق: ماذا حدث؟

أشار «أحمد» إلى القنبلة الكبيرة ... وأخبرهما بما حدث وهروب الإرهابيِّين بملامحهم الحقيقية ...

وعاد «قيس» وهو يقول: سيصل رجال مكافحة الإرهاب بعد قليل لإبطال مفعول القنبلة وحملها بعيدًا ...

قطَّبَت «إلهام» حاجبَيها في ضيقٍ قائلةً: ونحن ... ما الذي سنفعله بعد أن فشلنا في مهمتنا وهرب الصيد منَّا؟

قال «قيس» في ألمٍ: سيستحيلُ علينا اكتشاف مكان هؤلاء الإرهابيين مرةً أخرى ... فلا شك أنهم يحملون جوازاتِ سفر أخرى غير التي دخلوا بها إلى البلاد ... وسيكون من السهل عليهم بهذه الجوازات التي تحمل أسماءً مختلفة ووجوهًا مختلفة، أن يذهبوا إلى أيِّ مكانٍ ويقيموا فيه باعتبارهم سيَّاحًا عاديِّين ... وفي اللحظة المناسبة يقومون بعملياتهم الإجرامية، ثم يهربون ...

هبَّ «خالد» واقفًا وهو يقول: إن الأمل لم يَمُت بعدُ.

أحمد: ماذا تقصد يا «خالد»؟

خالد: لقد احتطتُ لمثل هذا الأمر؛ ولذلك فعندما ذهب الإرهابيون الأربعة إلى الأهرامات تاركين سيارتِهم الشيفورليه، قُمتُ بزرع ميكروفون صغير في ركن خفي بالسيارة، وبالإضافة إلى ذلك قمتُ بزرع جهاز صغير يبثُّ موجاتٍ ضوئيةً وصوتية تكشف عن مكان مَن يحملها في دائرةٍ قطرُها عشرون كيلومترًا.

لمعَت عينَا «إلهام» وهتفَت: أنت رائع يا «خالد».

أحمد: وأين وضعتَ هذا الجهاز الصغير؟

خالد: لقد ثبَّتُّه في ثنية ياقة معطف «صافي» الثقيل الذي كان في السيارة، والجهاز لا يزيد حجمه عن زرار صغير، فيستحيل عليها اكتشافه.

قيس: المهم أن تكون هذه الإرهابية قد حملَت هذا المعطف معها.

تلفَّتَت «إلهام» حولها وهي تقول: لا توجد أية معاطف هنا ... والسيارة المستأجرة بأسفل خالية من أشياء هؤلاء الإرهابيِّين.

خالد: إذن فلا بد أن «صافي» قد حملَت معطفَها معها، وبواسطة جهاز الرصد في سيارتنا سيمكننا تتبُّع مكان وخط سير الإرهابيين الأربعة.

أحمد: المهم ألَّا يكونوا قد ابتعدوا أكثر من عشرين كيلومترًا ... هيَّا بنا فلا وقتَ لإضاعته ...

واندفع الشياطين الأربعة لمغادرة الشقة في نفس اللحظة التي اندفع فيها رجال مكافحة الإرهاب داخلين ... فأشار لهم الشياطين على مكان القنبلة ... ثم أسرعوا يغادرون المكان بأقصى سرعة نحو سيارتهم.

وامتدَّت يدُ «أحمد» نحو جهاز الرصد داخل السيارة ... وقام بتشغيله ... وتعلَّقَت عيونُ الشياطين بشاشة الجهاز الصغير ... ولكن الشاشة ظلَّت على صمتِها وسكونها ... لا تُضيء أو تُشير في أي اتجاه ...

تبادل الشياطين النظراتِ في عدم تصديقٍ وحزن ... كان معنى ذلك احتمالَين لا ثالثَ لهما ...

إما أن «صافي» اكتشفَت جهاز البث الصغير وحطَّمَته ... وإما أنها ابتعدَت مع زملائها مسافة ... أكثر من عشرين كيلومترًا.

غمغمَت «إلهام» في حزنٍ قاتل: لا فائدة ... لقد هربوا منَّا وصار من المستحيل علينا العثور عليهم ... لقد تخلَّى الحظُّ عنَّا.

وامتلأَت عيناها بالدموع الساخنة ... دموع الحزن والألم ... ولم يكن باستطاعة أحد من الشياطين أن يفعل شيئًا لمواساتها ... فقد كانوا جميعًا يشعرون بنفس المرارة التي تشعر بها «إلهام».

وفجأةً امتدَّت أصابع «أحمد» نحو مفتاح تشغيل السيارة ... ثم أدارها وانطلق بها في اتجاه أيٍّ الميادين.

وتلاقَت نظراتُ الشياطين في دهشة، وتساءل «خالد»: إلى أين أنت ذاهب يا «أحمد»؟

أجاب «أحمد» بوجهٍ خالٍ من المشاعر: إنها مجردُ محاولة.

واتجه نحو طريقِ «الهرم» بعد أن تجاوز الميدان وعيناه معلَّقتان على شاشة جهاز الرصد الذي بقيَ على صمتِه، وقُرب نهاية الطريق أدار «أحمد» السيارة عائدًا بها مرةً أخرى إلى قلب العاصمة.

واتجه «أحمد» بأقصى سرعة باتجاه كوبري «قصر النيل»، وتجاوزَه مخترقًا شارع ٢٦ يوليو في اتجاه الحسين. وفجأة ومضَت بقعةُ ضوءٍ صغيرة في قلب شاشة جهاز الرصد، وصرخَت «إلهام» من الفرحة: إننا نقترب من مكان هؤلاء المجرمين.

أحمد: أرجو أن نعثرَ عليهم سريعًا.

وزاد من سرعة سيارته باتجاه صلاح سالم. وقد زادَت قوةُ الومضات، وكان من الواضح أن أفراد منظمة «الأصابع الدموية» قد سلكوا الطريق جهة اليمين ... الطريق الصاعد إلى الجبل، وانطلقَت سيارةُ الشياطين تُسابق الأمل صاعدةً طريقَ الجبل المتعرِّج الملتوي في رشاقة وسرعة.

وأخيرًا اعتلَت السيارةُ هضبةَ الجبل، وظهرَت أضواءُ القاهرة من أسفل كأنها أنوار عالم مسحور ...

وتساءلَت «إلهام» في قلق: إن الجبل مكانٌ صعب، فأي اتجاه سنبحث فيه؟

أحمد: سوف نقطع كلَّ الاتجاهات بحثًا عن هؤلاء المجرمين ... وأرجو أن يكون الحظُّ حليفَنا إلى النهاية.

ضغط «أحمد» فوق دواسة البنزين ... فانطلقَت السيارة الصغيرة تزأر فوق الطريق الصخري كأنها وحشٌ حبيسٌ أفلتَ من قيوده.

معركة فوق الجبل!

انطلقَت سيارةُ الشياطين بكل سرعتها إلى الجبل. وقد زادَت ومضاتُ جهاز الرصد، وتضاعفَت قوتها ...

هتف «خالد» في انتصار: إننا نتقدم في الاتجاه الصحيح.

وأخيرًا تحول الضوء الأصفر فوق شاشة الجهاز إلى اللون الأحمر الدموي ... فصاحَت «إلهام» في سعادة: لم يَعُد يفصلنا عن الهدف غير مائتي متر فقط.

أوقف «أحمد» محركاتِ السيارة الصغيرة، وتطلَّع الشياطين حولهم في حذر، كانوا قد وصلوا إلى قلب الجبل باتجاه الهضبة الوسطى ... وهو مكان جديد يكسوه الظلام، وقد ظهرَت على مسافة عددٌ من المنشآت الصغيرة، ولم تكتمل بعد وقد ساد الهدوء والسكون المكان.

قال «قيس»: دعونا نغادر السيارة، ونستكشف المكان.

غادر الشياطين الأربعة سيارتهم، وراحوا يتطلَّعون حولهم في حذر ... وأشارَت «إلهام» إلى منزل صغير بعيد أشبه بكوخٍ يصدر عنه ضوءٌ ضعيف، وهمسَت للباقين: دعونا نقترب من هذا المنزل، إنه يبدو مسكونًا ...

أومأ الباقون برءوسهم موافقين، واقتربوا في حذرٍ من المنزل الذي كانت تُحيطه حديقةٌ جرداء بها بعضُ الأشجار اليابسة، وكان المنزل غارقًا في الصمت، إلا من ضوءٍ يسيرٍ يتسلَّل من إحدى النوافذ في الطابق الثاني.

فجأةً، سمع الشياطين صوتًا يزوم من داخل الحديقة، فهتفَت «إلهام» في توتر: هناك كلب في هذه الحديقة، قد يفضحنا بنباحه.

في اللحظة التالية قفز الكلب المتوحش نحو الشياطين، ولكن حركة «أحمد» كانت أسرع، فأخرج من جيبه مسدسًا يحوي طلقات منومة، وصوَّبه على الكلب وأطلقه، فسقط الكلب على الأرض، وخمدَت حركتُه وغَرِق في نومٍ عميق.

قال «خالد»: أنت رائع يا «أحمد»، لم أكن أظن أنك تحمل معك هذا المسدس.

أحمد: لا تنسَوا أننا نريد القبض على هؤلاء الإرهابيِّين وأفراد الخلايا الساكنة أحياء ... وليس أفضل من الطلقات المخدرة لشل حركتهم، والقبض عليهم دون إصابتهم.

قيس: دعونا نتسلَّل إلى داخل هذا المنزل.

اقترب الشياطين من باب المسكن، وكان مغلقًا من الداخل ... ولكن «خالد» تمكَّن من فتحِه بمهارة بواسطة أداة صغيرة معه، وتسلَّل الشياطين الأربعة إلى داخل البيت، وسمعوا أصواتًا تأتي من الطابق الثاني، فصَعِدوا السلالم في حذر ... وظهرَت أمامهم حجرةٌ مضاءةٌ بابها موارب قليلًا، فأشار «أحمد» إلى زملائه أن يقتربوا في حذر.

ظهر بداخل الحجرة ستة أشخاص، كانوا يبدون مثل خليط من أجناس مختلفة، وكانوا يتحدثون بالإنجليزية.

وقال أحدهم في حدَّة: من المخاطرة أن نجتمع في هذا المكان معًا. لقد عشنا سنواتٍ طويلةً في القاهرة كطلبة أو عمالة أجنبية مقيمة في البلاد دون أن يشكَّ أحد فينا ... ولم نلتقِ أبدًا من قبل ولا أدري سرَّ هذا الاجتماع الليلة هنا.

وتحدَّث أحد الشباب قائلًا: ربما يستطيع «أبو الحسن» تفسيرَ ذلك لنا.

تحدَّث أحد الرجال قائلًا: لا تقلقوا ... نحن في أمانٍ تامٍّ. لقد كنت لا أرغب في أن نتقابل معًا، وأن نساعد منظمة «الأصابع الدموية» بالسلاح والمتفجرات. دون أن نظهر في الصورة ... ولكن يبدو أن أعضاء المنظمة كانوا تحت المراقبة، وحاول أحدُهم قتلي عندما كنت أحرس شحنة الأسلحة والمتفجرات التي تركناها غائصةً في النيل خلف الكازينو، ولكنني تصرفتُ بطريقة مناسبة، فزرعتُ قنبلةً زمنية في سيارة مَن كانوا يطاردوننا ... وكذلك ترك زملاؤنا قنبلةً ضخمة في المسكن الذي كانوا يقيمون فيه ... ولا بد أن الانفجارَين قد حدثَا، فأطاحَا بمَن كانوا يراقبوننا، وتقطَّعَت الخيوط المؤدية إلينا ... أما انفجار العمارة فلا بد أنه سيشغل أجهزة الأمن المصرية فسيسهل علينا الحركة.

تساءل أحد الرجال: ولكنني للآن لم أفهم ... ما الهدف من اجتماعنا هنا؟

أجاب المدعو بـ «أبي الحسن»: لقد حدثَت بعضُ التعديلات في الخطة، وجاءت الأوامر بأن نتحرك مع أفراد «الأصابع الدموية»، ونشاركهم عملياتهم. وستكون مهمتُنا منذ هذه

اللحظة تخريبَ وتفجيرَ بعضِ المنشآت ... وسنفعل ذلك بالتبادل حتى لا يمكنَ لأحد الوصول إلينا، ولتشتيتِ جهودِ مَن سيقومون بمطاردتنا ... ولا تنسَوا أننا بعيدون عن الشكوك. وفي نهاية عمليتنا سيكون علينا مساعدة أعضاء «الأصابع الدموية» على الهرب ومغادرة البلاد، ثم انتظار آخرين غيرهم سوف يصلون بعد ذلك.

تساءل أحدهم قائلًا: وأين أعضاء منظمة «الأصابع الدموية» لماذا لم يأتوا حتى الآن؟

ابتسم أحد الشباب قائلًا: بل أتَوا قبل مجيئكم ... وقمتُ بتزويدهم ببعض المتفجرات التي حصلنا عليها من المناجم، وانطلقوا في مهمةٍ سريعةٍ سيعودون بعدها إلى هنا ليتمَّ التعارف بينهم وبينكم، فلا تقلقوا أو تتعجلوا.

ترامق الشياطين الأربعة في قلقٍ شديدٍ ودهشة؛ فقد كان معنى حديث هذا الرجل أن الإرهابيِّين الأربعة قد غادروا المكان ومعهم المتفجرات للقيام بعملية تخريبية ... وأن هناك خطرًا شديدًا لا بد من منعه.

اندفعَت «إلهام» لاهثةً نحو الشياطين وهي تقول: لقد عثرتُ على معطف تلك الإرهابية «صافي». إن جهاز الرصد الصغير لا يزال في ياقة المعطف.

قيس: لا بد أن «صافي» تركَت المعطف هنا بعد وصولها ... وغادرت المكان بدونه.

خالد: علينا أن نمنع هؤلاء الإرهابيِّين من عمليتهم الإجرامية بأقصى سرعة.

أحمد: ولكن يجب أن نعرف إلى أين اتجهوا ... وما هو المكان الذي سيضعون به القنابل ... وليس هناك غير وسيلة واحدة لمعرفة ذلك.

ودفع باب الحجرة بقدمه في عنفٍ قائلًا: أيها المجرمون ... لقد حان الآن وقتُ الحساب.

فوجئ الأفراد الستة أعضاء «الخلايا الساكنة» بدخول الشياطين الحجرة ... وقبل أن تمتدَّ أيديهم إلى أسلحتهم. كانت حركة الشياطين أسبق بكثير ... فقد طارت «إلهام» في الهواء وصوَّبت بقدمها ضربةً هائلةً إلى أحدهم، فأطاحَت به إلى الوراء ... وقبل أن تمتدَّ أصابعُه إلى المسدس في حزامه. ألقت به قبضة «إلهام» إلى عالم الغيبوبة ...

في نفس الوقت انطلقَت قبضة «قيس» إلى واحد من الثلاثة، فجعلَته يتقوَّس من الألم الشديد ... وتكفلت ضربةٌ أخرى بأن تُسقطَه على الأرض بلا حَراك.

وقفز «خالد» إلى الرجلَين الآخرَين، وبضرباتٍ متتالية بسرعة مذهلة جعلهما يطيران إلى الوراء ويصطدمان بالحائط في عنف ...

وفي نفس اللحظة امتدَّت أصابعُ أحد الشباب إلى مدفعه الرشاش، وصوَّب دفعةً من الرصاص نحو «أحمد»، ولكن «أحمد» قفز في الهواء عاليًا متحاشيًا طلقاتِ الرصاص،

وسقط فوق كتفَي الشاب، وقبل أن يُفيقَ الأخير من الصدمة، أطاحَت قدمُ «أحمد» ببندقيته، وبقدمه الأخرى صوَّب ضربةً قوية إلى عدوِّه، جعلَته يترنَّح، ثم يسقط فاقدَ الوعي.

لم تستغرق المعركة غير ثوانٍ قليلة ... وسقط خمسة من الأفراد الستة على الأرض غير قادرين على الحركة.

تلفَّت «أحمد» باحثًا عن الرجل السادس قائد المجموعة ... ولكنه لم يجده في الحجرة ... وكان من الواضح أنه انتهز فرصةَ انشغال الشياطين في المعركة، وأسرع بالهرب ...

هتف «أحمد» في زملائه: عليكم بتقييد هؤلاء المجرمين ... وسأذهب للبحث عن الرجل السادس قبل هروبه.

اندفع خارجًا من الحجرة ... ووقف يتصنَّت لحظة، ولكنه لم يسمع أيَّ صوت ... ثم التقطَت أذناه صوتًا ضعيفًا قادمًا من حجرةٍ مجاورة ... فتسلَّل نحوها في حذرٍ ... وما كاد ينظر بداخلها حتى دوَّى صوت طلقة رصاص مكتومة، فألقى «أحمد» بنفسه على الأرض، وارتطمَت الرصاصة بالجدار خلفه ... وفي نفس اللحظة قفز الرجل من نافذة الحجرة إلى حديقة المنزل.

ولم يتردَّد «أحمد» فقفز خلفه ... وقبل أن يصوِّب الرجل مسدسه مرةً أخرى نحو «أحمد» أطاحَت قدمُ الشيطان بمسدسه، وأمسكه «أحمد» وضغط عليه في قوة شديدة صائحًا به: والآن أيها الإرهابي ... إن كنتَ تريد أن تعيش، فعليك أن تُخبرَني ما هو المكان الذي ذهب إليه أعضاءُ «الأصابع الدموية» ليقوموا بتفجيره، وإلا فسوف أتولَّى القضاء عليك.

ظهر الألمُ الشديد على وجه الرجل، وقال في صوتٍ متحشرج: لقد ذهبوا لتفجير إحدى السفارات الغربية في منطقة «جاردن سيتي».

تساءل «أحمد» وهو يشدِّد ضغطَه: أية سفارة؟

هتف الرجل في ألمٍ شديد: لا أدري ... قد يقومون بإلقاء القنابل على أية سفارة في المنطقة.

وغامَت عينَا الرجل من الألم الشديد، وسقط فاقدًا الوعي. وفي نفس اللحظة اندفعَت مجموعةٌ من السيارات، وتوقَّفت بفرامل حادة أمام حديقة المنزل، وهبط منها عددٌ كبير من ضباط الشرطة ورجال العمليات الخاصة شاهرين أسلحتهم. وتقدَّم قائدهم نحو «أحمد» قائلًا: إنك أحد مجموعة الشياطين الـ «١٣» ... أليس كذلك؟ لقد أبلغَتنا الرئاسة أنكم تشاركون في هذه العملية للقبض على الإرهابيِّين ... وقد جئنا إلى هنا بعد أن أوصلَتنا تحرِّياتُنا إلى اجتماعٍ يعقده بعضُ أفراد الخلايا الساكنة لمساعدة الإرهابيين الأربعة.

أجاب «أحمد»: نعم ... وستجدون بالداخل مجموعة من أفراد الخلايا الساكنة، وهذا هو زعيمهم، وقد قبضنا عليهم جميعًا ... أما أعضاء منظمة «الأصابع الدموية»، فقد اتجهوا إلى منطقة «جاردن سيتي» لإلقاء بعض القنابل على إحدى السفارات هناك، وإن كنَّا لا ندري أية سفارة يقصدون.

هتف قائد الشرطة: سوف أتصل بأجهزة الأمن فورًا لتشديد الحراسة حول السفارات في ذلك المكان.

أحمد: أما نحن فسنتجه إلى هناك؛ فقد نتمكَّن من أن نفعل شيئًا للقبض على هؤلاء الإرهابيِّين قبل أن يقوموا بتفجير قنابلهم. وأرجو ألَّا نصلَ بعد فوات الأوان.

وأشار إلى بقية الشياطين، فأسرعوا إلى «أحمد»، واندفعوا إلى سيارتهم الصغيرة التي أدار «أحمد» محرِّكَها، وانطلق بها هابطًا من فوق الجبل.

واندفع رجال الشرطة والأمن والقوات الخاصة للقبض على أفراد الخلايا الساكنة، على حين راح قائد المجموعة يبعث برسالة باللاسلكي إلى قيادات الأمن لتشديد الرقابة حول منطقة «جاردن سيتي» بأكملها ...

اندفعَت سيارة الشياطين تطوي الطريق بأقصى سرعتها ... وغمغمَت «إلهام» في قلقٍ شديد كأنها تُحدِّث نفسها: تُرى أية سفارة سيقصد هؤلاء المجرمون؟ إن المكان هناك حافل بالسفارات الهامة، فإلى أية سفارة سيتَّجهون؟

لم ينطق أحدٌ من الشياطين ... وراحوا يتابعون معالمَ الطريق الذي تعبره سيارتهم بسرعة شديدة في سباقٍ هائلٍ مع الزمن.

المعركة الأخيرة

اندفعَت سيارة الشياطين إلى قلب الحي السكني الهادئ الراقي في قلب القاهرة ...

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل، وقد ساد السكونُ الحيَّ، وقد نام أهله في أمانٍ وطمأنينة، وقد خلَت الشوارع من المارة. وإن كانت العين الخبيرة تلمح عددًا كبيرًا من رجال الأمن والقوات الخاصة راحوا يذهبون ويجيئون دون أن يُثيروا الانتباه إلى حقيقتهم. وقد وقَفت أكثر من سيارة أمن في التقاطعات الهامة داخل الحي وبداخلها مجموعة من رجال القوات الخاصة المسلحين. وكان من الواضح أن رجال الحراسة في المكان يعرفون سيارة الشياطين، فسمحوا لها بالتحرك في حرية دون اعتراض ... وانطلقَت سيارة الشياطين تقطعُ شوارع الحي الهادئ خاصةً منطقة السفارات دون أن يعثر الشياطين على ما يريبهم.

تساءل «خالد»: هل تظنون أن الإرهابيِّين الأربعة قد تراجعوا عن تنفيذ مخططهم في آخر لحظة؟

قيس: ولماذا؟

خالد: بسبب وجود رجال الأمن بكثافة في المكان ... فإن هؤلاء الإرهابيِّين من المحترفين، ولن تخفى عليهم حقيقة وجود رجال أمن بكثافةٍ عالية في المكان بقصد القبض عليهم.

أحمد: لا أظن أن هؤلاء الإرهابيِّين سيتراجعون عن عمليتهم الإجرامية؛ فقد اعتادوا تحدِّي قوات الأمن، ولا تنسَوا الشريط السينمائي الذي شاهدناه لهم، وكيف تمكَّنوا من اغتيال المسئول السياسي الأوروبي برغم وجود رجال الحراسة حوله، وبرغم أنه كان يجلس في سيارةٍ مصفَّحة.

إلهام: تقصد أنهم سيلجئون إلى حيلةٍ في تنفيذ عمليتهم؟

أحمد: هذا هو المنطق الأقرب.

وساد الصمتُ سيارةَ الشياطين وهي تتحرك ببطءٍ في الحي، وعيون الشياطين تراقب ما حولهم في تفحُّصٍ وتمعُّنٍ شديدَين، وفجأة دوَّى صوتُ تحطمِ الزجاج الخلفي لسيارة الشياطين، عندما اخترقَته رصاصة من مسدس كاتم للصوت، وفي الحال أدار «أحمد» سيارته بعنف صاعدًا فوق الرصيف ليتحاشى بقية الرصاصات التي طاشَت في الهواء بسبب حركة «أحمد» السريعة، وقفز الشياطين من السيارة بسرعةٍ بالغة، وقد أدركوا أنهم يتعرَّضون لمحاولة اغتيال، وأن مَن أطلق الرصاص لا يمكن أن يكون إلا واحدًا من أعضاء منظمة «الأصابع الدموية» ... فاندفع الشياطين الأربعة إلى الوراء باتجاه المكان الذي انطلقت منه الرصاصات، ولكن لم يكن هناك أثرٌ لأيِّ إنسان حولهم، وقد ظهرَت مجموعة من العمائر الساكنة يحيطها الظلام والهدوء ...

وهتف «قيس» غاضبًا: أين ذهب هذا الإرهابي المجرم الذي أطلق الرصاص علينا؟

أجابه «خالد»: لا بد أنه أسرع بالهرب.

إلهام: ولكن أليس من الغباء أن يحاول هؤلاء الإرهابيون اغتيالَنا وفضْحَ أنفسهم في حين أنهم يسعَون خلف هدف أكبر؟

ضاقَت عينَا «أحمد»، وقال: معكِ حقٌّ يا «إلهام» إن المسألة تبدو كما لو كانت خدعة صغيرة تمامًا مثل القنبلة التي ألقاها هؤلاء المجرمون على سيارة المسئول السياسي الأوروبي، ولم يكن الغرض منها قتله، بل شيء آخر ... وما حدث من إطلاق الرصاص علينا في هذا المكان سيجعلنا نبادر بالبحث عن الإرهابيِّين الأربعة قريبًا من مكان إطلاق الرصاص، أليس كذلك؟

قيس: هذا كلام منطقي.

أحمد: ولكني أعتقد أنها مجرد خدعة. وبذلك فعلينا أن نفكِّر بعكس المنطق الذي نراه حولنا ...

قال «خالد»: وما معنى ذلك؟

أحمد: معناه أن الإرهابيِّين أرادوا أن يندفع رجال الأمن إلى هنا، ويبحثوا معنا عنهم. على حين أنهم ينوون تنفيذَ عمليتهم الإجرامية في مكان بعيد عن هنا.

هتفَت «إلهام» بدهشة: هل تقصد أنهم ...

قاطعها «أحمد» قائلًا: من المؤكد أن هؤلاء المجرمين سيختارون هدفًا بعيدًا عن هنا ... وأنهم سيختارون هدفًا آخر لقنابلهم وقد عرفتُه ... هيَّا بنا ... فلا شك أنهم قد عدَّلوا خُطتهم بسبب وجود رجال الأمن هنا.

واندفع «أحمد» إلى السيارة الصغيرة، ولحق به باقي الشياطين ... وانطلقَت السيارة مخترقة الشوارع الساكنة إلى أطراف الحي الهادئ ... بالقرب من نهر النيل ... وأوقف «أحمد» السيارة بجوار فندق كبير قريب يُطلُّ على النيل ... وراحَت أعينُ الشياطين تراقب المكان.

واقتربَت سيارة نظافة هبط منها ثلاثة من العاملين راحوا يُفرغون صناديق القمامة بداخل السيارة، ثم يعيدونها إلى مكانها خلف الفندق، على حين انتظر سائق السيارة في مكانها، ثم انطلقَت السيارة مبتعدة. وظهر الشك على وجه «إلهام»، فاقتربَت من صناديق القمامة الفارغة، ثم اتسعَت عيناها ذهولًا ... فقد كان بداخل كلٍّ صندوق قنبلة ضخمة.

وأسرعَت «إلهام» نحو الشياطين صارخة: هناك قنابل بداخل صناديق القمامة قد تنفجر بعد لحظاتٍ.

صاح «أحمد»: لا وقتَ لاستدعاء رجال القوات الخاصة لإبطال مفعولها، فلنحمل هذه القنابل بأنفسنا، ونعطل مفعولها بسرعة.

وبعد أن نجح الشياطين في مهمَّتهم وترامقوا في سرورٍ وهتفَت «إلهام»: الحمد لله ... فلنسرع لمطاردة هؤلاء الإرهابيِّين؛ فقد حان وقت النهاية.

وانطلقَت سيارة الشياطين في طريق الكورنيش خلف سيارة النظافة التي يستقلُّها الإرهابيون الأربعة.

وفجأةً تعالَى على البعد صوتُ طلقات رصاص، فقال «أحمد»: لا بد أن رجال الأمن قد اكتشفوا حقيقة سيارة النظافة، وأن الإرهابيين يتبادلون إطلاق الرصاص مع رجال الأمن.

كان «أحمد» على حقٍّ، فقد ظهرَت أمامهم على مسافة سيارة النظافة، وقد اعتلَت رصيف الكورنيش. واصطدمَت بشجرةٍ ضخمةٍ بعد أن أفرغَت رصاصات رجال الأمن والقوات الخاصة إطارتها ...

اندفع الإرهابيون الأربعة، هاربين وهم يُطلقون الرصاص باتجاه رجال الأمن خلفهم ... ولكن ... كانت هناك مفاجأة في الناحية الأخرى ...

فقد ظهر الشياطين في اللحظة المناسبة كعادتهم تمامًا، ليقطعوا الطريق على الإرهابيِّين ... وقبل أن يفكر الإرهابيون في إطلاق الرصاص على الشياطين، كانت أسلحة الشياطين البشرية قد عَملت بسرعة أكبر.

فقد قفزت «إلهام» نحو «صافي»، وأطاحَت بمسدسها بضربةٍ من قدمها، ثم ضربَتها ضربة قوية جعلَتها تنحني متأوِّهةً، فعالجَتها «إلهام» بصفَعاتٍ متتالية جعلَت «صافي» تسقط على الأرض باكية لشدة الألم.

تكفَّل الشياطين الثلاثة ببقية الإرهابيِّين، واندفع رجال الأمن إلى المكان ليُلقوا القبض على الإرهابيِّين الأربعة، ويأخذوهم تحت الحراسة للتحقيق معهم ... واقترب قائد القوات الخاصة من الشياطين الأربعة قائلًا في فخرٍ: لقد قمتم بعمل رائع وتعاونتم معنا بإخلاص للقبض على هؤلاء المجرمين.

أجاب «أحمد»: نحن دائمًا في خدمة العدالة وخدمة أمن وطننا وكل بلادنا العربية.

وعاد الشياطين إلى سيارتهم الصغيرة التي انطلقَت بهم في طريق الكورنيش، وقد بدأ نور الفجر يُشرق على المكان ... حاملًا معه الأمان والطمأنينة.

هنـــداوي